مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـدد: 02 (2023)، ص: 1582-1604

المنهج التأويلي عند شلايرماخر

The hermeneutical approach of schleiermacher

عياط فايزة[1]، كرد محمد[2]

[1]جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)، faiza.ayat@univ-mascara.dz

[2]جامعةمصطفى اسطمبولي (معسكر)،

mohammed.kerd@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/14 تاريخ القبول: 2023/08/05 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: يعتبر شلايرماخر من أبرز الفلاسفة في مجال الهرمينوطيقا، إذ يعود له الفضل في نقل الممارسة الهرمينوطيقية من دائرة اللاهوت إلى مجال التفكير الفلسفي لتصبح علما قائما بذاته، ولا تقتصر على النصوص الدينية فحسب بل تشمل النصوص الدنيوية أيضا وحتى الشفوية منها، دون أي تمييز أو تفرد للنص المقدس، لتكون بذلك هرمينوطيقا عامةغايتها تجنب (سوء الفهم) الذي تطرحه النصوص. وقد كان هذا المبدأ الذي تبلورت حوله أفكاره الفلسفية في مجال التأويلية.

عرفت الهرمينوطيقا توسعا آخر على يد شلايرماخر تمثل في إدخال التأويل السيكولوجي أو التقني في الممارسة التأويلية إلى جانب التأويل اللغوي الذي اكتفت به الهرمينوطيقا التقليدية، بغية فهم النص كما فهمه مؤلفه بل وحتى أفضل منه.ولاستكمال هذا البحث تم الاعتماد على جملة من الاجراءات المنهجية بهدف توضيح مشكلة البحث والإلمام بجوانبها ومحاوله الإجابة عنها.

كلمات مفتاحية: الهرمينوطيقا، الفهم، النص، المؤول، المؤلف.

Abstract: Schleiermacher is considered one of the most prominent philosophers in the field of hermeneutics, as he is credited with transferring the hermeneutic practice from the circle of philosophical thinking to become a science in itself, and

is not limited to religious texts as well, to be a general hermeneutics aimed at avoiding (misunderstanding) raised by the texts, hermeneutics knew another expansion at the hands of Schleiermacher, represented by the introduction of psychological or technical interpretation into the interpretive practice, in addition to the linguistic interpretation that traditional hermeneutics contented itself with, in order to understand the text as understood by its author, and even better than it, in order to complete this research, a number of methodological procedures were relied upon in order to clarify the research problem, familiarize itself with its aspects, and try to answer it.
Keywords: hermeneutics, comprehension, text, Administrator, Author.

***المؤلف المرسل:** عياط فايزة

1. مقدمة

ارتبطت الهرمينوطيقا منذ أول عهدها بمشكلة تفسير وفهم النص ويظهر ذلك جليا في الحضارة اليونانية بوصفها طريقة في فهم وتفسير وترجمة النصوص الدينية والأساطير والشعر، إلا أن مصطلح الهرمينوطيقا كعلم بدأ في عصر النهضة في دائرة الدراسات اللاهوتيةليشير إلى جملة القواعد التي تهتم بفهم لغة النص المقدس وضبط أصوله وأحكامه بغية استخراج المعنى الحقيقي المقصود من راء المعاني الحرفية والمجازية التي وجدت في الكتاب المقدس لذاوجهت كل الاهتمامات إلى مباحث الألفاظ والمعاني والبيان،إلا أن دلالة المصطلح اتسعت لتدخل دائرة البحث الفلسفي وتوجه اهتمامها على الشروط والمعايير التي تضمن الفهم المناسب لكل النصوص وقد حدث ذلك بداية على يد الفيلسوف شلايرماخر. ومنه نطرح الإشكال التالي: كيف يتم فهم أي نص بدقة من وجهة نظر شلايرماخر؟

ولتحليل الإشكالية التي طرحناها مسبقا تم اقتراح الفرضيتين التاليتين:

-أصبحت الهرمينوطيقا عامة تشمل كل النصوص سواءا الدينية أو الدنيوية وحتى الشفوية منها مع شلايرماخر

-إن التأويل اللغوي للنصوص وحده لا يحقق الفهم، بل لابدمن إعادة بناء ومعايشة التجربة النفسية والإبداعية للمؤلف بغية فهم النص كما يفهمه المؤلف بل وأفضل منه.

سنقوم من خلال هذه الورقة البحثية بمناقشة مفهوم الهرمينوطيقا أولا ثم سنتطرق لنظرية شلايرماخر التأويلية. وأخيرا سنذكر أهم الاستنتاجات. وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي الذي يقوم على التفتيت التقسيم بهدف توضيح مشكلة البحث والإلمام بجوانبها ومحاولة الإجابة عنها.

2.مفهوم الهرمينوطيقا

1.2 لغة: نحت مصطلح الهرمينوطيقا hermeneutics من اشتقاقات لغوية اغريقية قديمة، اذ ينتمي معنى فعل (هيرمينويان hermineuein) في اللغة الاغريقية الى أسماء موصوفة أو نعوت من نفس العائلة اللغوية (هيرمينياherminia) و(هيرمينوس hermeneut) و(هيرمينوطيس hermeneuts) و (هيرمينوطيكوس hermineutik) ومن هذه الاشتقاقات اللغوية جاء لفظ هيرمينوطيقاhermineutique(كمال المعاني، العواودة، 2018، صفحة 97).

الهرمينوطيقا في اليونانية من الفعل hermeneuein ومعناه(يفسر) وإن كانت استعمالاته كما يقول المتخصصون توحي بثلاثة اتجاهات لهذا المعنى: أولها هو تفسير الشعر شفويا ومن ثم يقترب معناه من التعبير to express، وثانيها هو الشرح to explain، وثالثا هو الترجمة to translate أي ترجمة الكلام فور التفوه به(عناني، 2003، صفحة 112).

الهرمينوطيقا مشتقة من اسم hermeneia يعني التأويلأو التفسير، لذا نجد أن علم الهرمينوطيقا مرتبط مباشرة بمباحث التفسير والتأويل(راد، الهرمينوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاتهفي الحضارات الإنسانية المختلفة، 2019، صفحة 13).

يعود مصطلح الهرمينوطيقا في أصله الاشتقاقي إلى الكلمة اليونانية(hermé)التي تضم حقلا دلاليا من الدلالات المتقاربة مثل: القول والتعبير والتفسير والتأويل(فرقاني وآخرون، 2013، صفحة 27).

و يشير مراد وهبة في معجمه الفلسفي إلى أن الهرمينوطيقا يرجع اشتقاقها الأصلي إلى لفظ hermes فيقول "اللفظ الإفرنجي له علاقة بهرمسhermes الذي هو رسول لدى اليونانيين، ولهذا كان عليه أن يفهم و يؤول أولا ما يريد الآلهة توصيله إلى البشر قبل أن يترجمه ويشرح مقاصد الآلهة نحو البشر. وهو على هذا الأساس يستخلص أن التأويل مرادف للهرمينوطيقا(وهبة، 2007، صفحة 644).

فهرمس رسول آلهة الأولمب "الرشيق الخطو، كان بحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر، ويذكر كل من اطلع على الإليادة والأوديسة أن هرمس كان ينقل الرسائل من زيوس كبير الآلهة إلى من عداه وبخاصة من جنس الآلهة وينزل بها أيضا إلى مستوى البشر، وهو إذ يفعل ذلك فقد كان عليه أن يعبر البون الفاصل بين تفكير الآلهة وتفكير البشر"(مصطفى، 2007، صفحة 24).

إن مرمس كما يذكر أمبرو إيكوهو "إله متعدد الوظائف والمجالات والاختصاصات، ويرمز إلى المعرفة الكلية، والتأويل الشامل ورسول الحكمة إلى الناس، وكذلك رمز الكلمة التي تنفذ إلى أعمق أعماق الوعي، إضافة إلى هذا هو

إله الفصاحة ورمز التعدد التأويلي والمعرفة الآتية من كل أصقاع الكون"(إيكو، 2004، صفحة 138)، وهو بذلك يشبه الهرمينوطيقا في وظيفتها وعملها من حيث هي فن الفهم وتأويل النصوص

فالعلاقة بين لفظ الهرمينوطيقا ولفظ هرمس واضحة جدا، فهرمس رسول آلهة اليونانيين وظيفته نقل كلام الآلهة إلى البشر، لذا عليه أن يفهم ويفسر بنفسه ما أرادت الآلهة قوله حتى تكون له القدرة على ترجمة كلامهم وشرح نيتهم ونقلها والتعبير عنها وتوضيحها للبشر. والهرمينوطيقا من هذه الجهة مرتبطة بهرمس، إذ هي علم آلي لتحليل وبيان طرق توضيح معاني النص ومقاصد المؤلف وتحقيق الفهم للناس.

ويرى البعض أنه ثمة ارتباطا جذريا بين هرمس والهرمينوطيقا، بسبب العناصر الثلاثة المهمة في عملية التفسير وهي: العنصر الأول: العلامة أو الرسالة أو النص الذي يجب تفسيره، العنصر الثاني: الواسطة أو المفسر الذي يوصل الرسالة، والعنصر الثالث: انتقال الرسالة إلى المخاطبين، وكان هرمس يقوم بالعنصر الثاني وهو دور الواسطة أو المفسر(راد، الهرمينوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاتهفي الحضارات الإنسانية المختلفة، 2019، صفحة 14).

وانطلاقا من هذه المعاني، نسبت الى هرمس وظيفة تبديل المفاهيم التي هي وراء فهم البشر إلى مفاهيم قابلة للفهم والإدراك. "وهكذا تشمل الأشكال المختلفة لهذه الكلمة على تبديل الأمور غير المفهومة إلى مفهومة، كما ان اليونانيين ينسبون إلى هرمس وضع اللغة والخط كأدتين مهمتين لأجل إدراك المعنى وانتقاله إلى الآخرين. ومارتن هيدغر الفيلسوف الذي يرى الفلسفة تأويلا يصرح بأن الفلسفة هي بمنزلة علم الهرمينوطيقا وهي مرتبطة بهرمس أيضا، وعليه فإن مصطلح الهرمينوطيقا الذي يرجع إلى اليونان يتضمن معنى (التبديل إلى الفهم)"(راد، مفهوم الهرمينوطيقا، 2016، صفحة 14).

إلا أن غدامير يرى أن هذا نوعا من الالتباس في الدلالة حيث يقول: "نجد في الاستعمال القديم للفظ نوعا من الالتباس، فقد اعتبر هرمس hermes رسول الآلهة إلى البشر، كما أن الأوصاف التي دل عليها هوميروس تظهر غالبا أنه -أي هرمس- يبلغ حرفيا وينجز كاملا ما وكل بتبليغه... لا توجد دون شك أي صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهني"(غادامير، 2006، الصفحات 61-62).

وبعد أن ينفي وجود علاقة أي تقارب بين وظيفة الهرمينوطيقا ووظيفة هرمس يؤكد دلالة المصطلح على تفسير فيقول: "هكذا تطور المعنى المعرفي ل hermeneias و hermeneus في الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤول المترجم"(غادامير، 2006، صفحة 62)وعليه فإن دلالة الهرمينوطيقا بعيدة عن الجذر اللغوي هرمس الذي اشتقت منه من طرف الباحثين و الفلاسفة فشتانا بين النقل الحرفي تلك الوظيفة التي اختص بها هرمس ووظيفة الفهم والتفسير التي تختص بها الهرمينوطيقا.

تتضمن كلمة hermeneutique بالإغريقية (herméneutiké) في اشتقاقها اللغوي tekné التي تحيل إلى الفن بمعنى الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصويرية ورمزية واستعارية. وبما أن الفن كآلية لا ينفك عن الغائية téléologie فإن الهدف الذي لأجله تجند هذه الوسائل والتقنيات هو الكشف عن حقيقة شيء ما، وتنطبق جملة هذه الوسائل على النصوص في تحليلها و تفسيرها وإبراز القيم والحقائق التي تختزنها والمعايير والغايات التي تحيل إليها(شوقي الزين، 2015، صفحة 31).وعليه تعني الهرمينوطيقا فن تأويل وتفسير وترجمة النصوص.

ومصطلح التأويل hermeneutics بالإنجليزية الذي ينتهي بالمقطع ics يشير في الأصل إلى نوع من العلم أو المجال المعرفي الذي يقوم على مجموعة من

القواعد التي تحكم تفسير النصوص، تماما مثلما نستخدم مصطلحات من قبل logic (علم المنطق) أو physics (علم الفيزياء) لتشير إلى نطام أو مجال معرفي معين(كمال المعاني، العواودة، 2018، صفحة 100).

ومع ذلك - فيما يرى الباحثين- قد أصبحت الآن مدرسة فلسفية تدل على "توجه فكري وليس على مجال فكري، وإذا كانت المدارس الفلسفية تتحدد بالمقطع (ism) من قبيل قولنا positivism (الوضعية)أو existentailism (الوجودية)أو structuralism (البنيوية) ... فإن الهرمينوطيقا المعاصرة comtemporaryhermeuticism قد أصبحت الآن قادرة على أن تؤسس نفسها كنظرية فلسفية في عصرنا وأن تطرح توجها فكريا ينظر إلى التفسير باعتباره مشكلة تتعلق بالعلم والتوجه المعرفي الذي أصبح يتطلب التفسير كضرورة معرفية"(كمال المعاني، العواودة، 2018، صفحة 100).

تجدر الإشارة إلى أن مصطلحhermeneutics لم يذكر في المعاجم والموسوعات العربية، إذ لا يكاد الباحث يجد مقابلا واحدا أو مصطلحا جامعا لما يدل عليه المفهوم في أصوله الغربية وعلى هذا الأساس قوبل المصطلح hermeneutics بلفظ التأويل، علم التأويل، التأويلية، نظرية التأويل، التفسير، التفسيرية... وحتى مصطلح الهرمينوطيقا، هيرمينتيك.

وتأسيسا على ما تم ذكره مسبقا فإن مصطلح الهرمينوطيقا hermeneutique بالفرنسية وhermeneutics بالإنجليزية يحمل عدة معان: التعريف، التفسير، الشرح، الترجمة، التأويل، التعبير. كما انه يقابل ترجمات عربية متعددة وهو ما يترتب عنه حدوث تشويش دلالي ويضع الباحثين في حيرة أمام معضلة وصف الحالة الدلالية للكلمة.

وعليه يمكن القول أن محاولة الوصول إلى مقاربة لغوية واحدة لمصطلح الهرمينوطيقا شبه مستحيل إن لم نقل أنه ضرب من الحلم، وتجدر الإشارة إلى

أن تنوع وتعدد معاني وترجمات هذا المصطلح راجع إلى اختلاف الاتجاهات، والرؤية المعرفية والتضمينات الدلالية التي يأخذها عند كل باحث وهي نفس الأسباب التي تجعل إمكانية الوصول إلى تعريف اصطلاحي جامع مانع ودقيق لمصطلح الهرمينوطيقا غير ممكن. لذا سنحاول أن نشير أهم الطفرات والتعريفات التي شهدها المصطلح.

2.2 اصطلاحا: اقترن ظهور هذا المصطلح عند اليونانيين في العصر الكلاسيكي بوصفه إجراءا أو طريقة في قراءة أو فهم النصوص الأدبية، ويتعلق الأمر بتأويل النص الهوميري (هوميروس) الذي يعتبره النقاد إنجيل اليونانيين بلا منازع(بارة، 2008، صفحة 100).

إلا ان بداية الاستعمال الجدي لمصطلح الهرمينوطيقا كممارسة وعلم كان تحديدا في عصر النهضة الأوروبية، "حيث الإصلاح الديني في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، وانتشار الفكر البروتستانتي الذي أدى إلى قطع علاقة المسيحيين بالكنيسة في روما، ومن ثم القضاء على مرجعية تلك الكنيسة في تفسير النصوص المقدسة، وبذلك شعر البروتستانت بالحاجة الملحة لوضع قواعد منهجية معينة لتفسير الكتاب المقدس، وكان هذا الإحتياج هو السبب الرئيسي لهذا الاتجاه في المعرفة، والذي يتكفل بمهمة القيام بطرح منهج ومنطق لتفسير الكتاب المقدس"(السيد على وآخرون، 2020، صفحة 173).

فصدر او كتيب يتضمن لفظ الهرمينوطيقا عام 1654 وعنوانه (تفسير المقدس، أو منهج شرح النصوص المقدسة) وعنوانه باللاتينية (her-munticasacrasivemethodisexponen-darum)(طلبة، 2004، صفحة 133).

وهكذا تكون الهرمينوطيقا قد نشأت مرتبطة بالنص المقدس في ظروف خاصة، ومن ثم تحولت كنظرية بديلة للكنيسة في تفسير الكتاب المقدس، فكان لا

بد للكهنة البروتستانت الذين قطعوا صلتهم تماما بكنيسة روما الكاثوليكية صاحبة الحق الحصري في تفسير الكتاب المقدس، أن يعتمدوا على أنفسهم في تفسيرهم للكتاب المقدس دون أنتكون لهم مرجعية نظرية للتفسير يستأنسون بها(السيد على وآخرون، 2020، صفحة 174).

وأمام هذه المشكلات في المجتمع المسيحي القديم، تبلور مفهوم الهرمينوطيقا ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني.

ثم تلا ذلك التأسيس الهرمينوطيقي العملي على يد شلايرماخر وشليجل كمحاولة لوضع منهج للتفسير وتبعهما كانط في محاولة وضع تأويلية نقدية، ثم جاءت محاولة دلتاي كمحاولة لتطبيق التأويل على العلوم الإنسانية، ثم كان التأويل في المنهج الفينومولوجي على يد هوسرل وهيدغر ومحاولات تفسير الوجود، ثم استكمل غدامير طريق هوسرل ثم توالت جهود نيتشه وفوكو وديريداوهابرهاس وكارل أوتو آبل للوصول بها إلى معناها الحالي الذي يطلق على كل تأمل نظري وفلسفي يستهدف فهم النص وأسسه وفرضياته المسبقة(علي السيد، ربيع2020، صفحة 97).

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هناك محاولات إسلامية دائمة لاستعارتها وتطبيقها فكثر الحديث حول هذا الطرح الجديد للهرمينوطيقا في الفضاء العام الإسلامي... فصارت تبحث عن إمكان أو مشروعية القراءات المختلفة للدين أو النص الديني الإسلامي مع مراعاة تاريخية الفهم وتفسيره بزمانه، والتغيير المستمر والدائم لعملية الفهم على اعتبار أنها ترى أن كل فهم يتأطر بظروفه وخلفيات مفسره(السيد على وآخرون، 2020، صفحة 174).

كما تضع في الاعتبار تاريخية النص وتأثره بثقافة عصره وبالوعي التاريخي لمؤلفه والاهتمام بدور المفسر ومحورتيه في تفسير النص بدلا من الاهتمام بالمؤلف

والنص ومحورتيه وبالتأكيد على التفسير الدائم والجبري لوعي المفسر وخلفياته وظروفه ومعلوماته وميوله وأحكامه المسبقة في تفسير النص(علي السيد، ربيع2020، صفحة 98).

تأسيسا على ما تم ذكره مسبقا إذا يمكن القول أن الهرمينوطيقا قد مرت بثلاث مراحل كبرى في تطويرها:

1-"تاثير الفلسفة الكلاسيكية الإغريقية والنظرية الأدبية الإغريقية

2-إنبعاث النظريات المسيحية واليهودية في تفسير الكتاب المقدس

3-تأثير عصر التنوير الذي أدى إلى توسيع دائرة التفكير الهرمينوطيقية إلى أبعد من السياقات الدينية الرئيسية"(جينروند، 2014، صفحة 65).

على الرغم أنه من الصعب في مثل هذه الدراسة الإلمام بكل التفاصيل إلا أننا حاولنا التطرق للخطوط العامة لتطور هذا العلم من أجل الإشارة إلى بعض التعريفات المهمة والمرتبطة بالنظريات المختلفة.

يعرف مصطفى حسيبة في معجمه الفلسفي الهرمينوطيقا فيقول: "التفسيرية أو الهرمينوتيكيةhermeneutics يستخدم مصطلح هرمينوتيكية في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية، والهرمينوتيكية هي المدرسة الفلسفية لتطور ودراسة نظريات التفسير interpretation ودراسة وفهم النصوص texte(حسيبة، 2009، صفحة 144).

يقول لالاند في معجمه الفلسفي: "تأويل herméneutique تفسير نصوص فلسفية أو دينية، وبنحو خاص الكتاب(شرح المقدس) وتقال هذه الكلمة خصوصا علما هو رمزي"(لالاند، 2008، صفحة 555)

وعليه فإن كلا التعريفين يربطان بين مصطلح الهرمينوطيقا ومعنى التفسير والتأويل وبشكل خاص تفسير النص الديني، بحكم أن هذا الأخير حافل بالرموز والاستعارات والمعاني الحرفية والمجازية والتناقص الظاهري، لذا يعتبر هذا المجال

بحاجة ملحة لاستعارة القواعد والمعايير الهرمينوطيقية التي تهتم بفك الغموض واللبس واستخلاص المعنى الباطني الكامن فيها بغرض شرح النص الديني وإزالة الشك والارتباك ومن ثم ترسيخ وتثبيت العقيدة. وعلى الرغم من أن تركيز كلا التعريفين بشكل خاص ربط مهمة الهرمينوطيقا بشرح وتفسير النص الديني إلا أن هناك إشارة منهما إلى أن هذه المهمة تتسع لتشمل النصوص الأخرى أي النصوص الدنيوية.

يعرفها سعيد علوش في معجمه الخاص بالمصطلحات الأدبية فيقول "أنها طريقة تأويل وتخريج، تدرس المبادئ المنهجية في التعامل مع النصوص وتفكيك رموزها وكشف أغوارها في التقليد القديم(...) أما الهرمينوطيقا حديثا نظرية تأويل رموز، لغة أدبية بوصفها كلا لعناصر ثقافية ما(علوش، 1985، الصفحات 224-225).

وهو بذلك يميز بين مرحلتين للهرمينوطيقا: المرحلة الأولى تخص الهرمينوطيقا التقليدية والمرحلة الثانية هي الهرمينوطيقا الحديثة. فالأولى اهتمت بالبحث عن القواعد التي تحتاج إليها للكشف عن المراد المتكلم أما الثانية فهي علم منظم ومتناسق.

يرى نصر حامد أو زيد أن المعنى العام للهرمينوطيقا يعنى وصف الجهود الفلسفية والتحليلية التي تهتم بمشكلات الفهم والتأويل، والهرمينوطيقا هي معضلة تفسير النص بصفة عامة سواء كان هذا النص دينيا ام نصا تاريخيا أم نصا أدبيا، فيثير تبعا لذلك أسئلة كثيرة معقدة ومتشابهة حول طبيعة النص وعلاقته بالتراث والتقاليد من جهة وعلاقته بمؤلفه من جهة أخرى والأهم من ذلك أنها تركز اهتمامها بشكل لافت على علاقة المفسر بالنص(ابو زيد، أفريل 1981، صفحة 141).

من خلال التعاريف السابقة لمصطلح الهرمينوطيقا نلاحظ أنها ترتبط بنصوص ذات الكثافة الدلالية التي لا تفصح عن معنى غامض أو سري فالمصطلحات أحادية المعنى ليستمن اهتمامها، مهمتها إزالة الغموض والتعقيد الذي يكتنفها وإبراز المعنى المقصود من المصطلح في إطار الجملة او النص أو الحوار، فقد اتسع مجالها ليشمل كل النصوص حتى غير المكتوبة منها وفتح المجال للتأويلات متعددة لتطرح حقيقة النص.

3.الهرمينوطيقا العامة عند شلايرماخر

كان شلايرماخر لاهوتيا وفيلسوفا مثاليا ألمانيا، أسس مع همبولت جامعة برلين عام 1808 حيث عمل بالتدريس فيها حتى وفاته عام 1834، لم ينل شلايرماخر ما يستحق من شهرة في تاريخ الفلسفة، كان منصرفا إلى اللاهوت، بشكل رئيسي، ومنقلا بالتالي عن نشر أعمال فلسفية، رغم أنه كان يحاضر بانتظام في الفلسفة اليونانية، تاريخ الفلسفة، الدياليكتيك، الهرمينوطيقا، النقد، فلسفية الجمال، الفلسفة السياسية وفلسفة التربية وهو المترجم العمدة لأفلاطون إلى الألمانية. ويعد شلايرماخر المؤسس للتأويل والأب للدراسات الثيولوجية والدينية الحديثة(Audi, 1995, p. 819).

لا تشير التأويلية لدى شلايرماخر إلى كتاب من كتبه تحت هكذا عنوان بل إلى جملة من الدروس والكتابات التي دارت حول مشاكل تأويلية، كان قد اهتم بها مابين 1805 و1833 والتي لم تر النور لأول مرة إلا سنة 1838 بفضل عناية أحد تلاميذه هو فريدريك لوكي، وعلى ذلك لا يختلف المعاصرون منذ دلتاي -وإن شاب نصوص شلايرماخر عن التأويلية بعض الإهمال- على الدور الحاسم الذي أداه شلايرماخر في دفع التأويلية نحو تشكيل حقول بحث مستقلة وخاصة بها بما هي كذلك(كمال المعاني، العواودة، 2018، صفحة 128).

المنهج التأويلي عند شلايرماخر

يعد شلايرماخر أعظم هرمينوطيقي حديث إذ يعود له الفضل في أول نقلة نوعية عرفتها الهرمينوطيقا التقليدية، وذلك بإخراج الممارسة الهرمينوطيقية إلى مجال التفكير الفلسفي، فهي لم تعد تقتصر على النصوص الدينية فحسب بل يمكن تعميمها على كل النصوص حتى غير الدينية منها، ووصل بها إلى أن تكون علما بذاتها يؤسس عملية الفهم.

يعتبر شلايرماخر مؤسس الهرمينوطيقا العامة بلا منازع حيث يقول: " الهرمينوطيقا بوصفها فن الفهم لا وجود لها كمبحث عام ،فليس هناك غير كثرة من الأفرع الهرمينوطيقية المنفصلة"(مصطفى، 2007، صفحة 97)، وهو بذلك يحدد مهمته التأويلية التي تتمثل في تأسيس معايير تضمن الفهم المناسب، مؤكدا أن النصوص الدينية لا ينبغي أن تحصل على تميز وتنفرد بطرق هرمينوطيقية خاصة بها، بل ينبغي لها الخضوع للمبادئ العامة، تلك التي تخضع لها كل النصوص سواءا أكانت فلسفية أو قانونية أو تاريخية أو أدبية وفي هذا يقول شلايرماخر "كل الكتب المقدسة هي بشكل أو بأخر لا تختلف عن سواها من سائر النصوص الأقل شأوا منها، والتي تخفي وراء عناوينها البسيطة معالجات لأمور في غاية الأهمية"(شلايرماخر، 2017، صفحة 67).

وعليه فإن الحديث مع شلايرماخر عن فروع الهرمينوطيقا لم يعد ممكنا، ولا وجود لتلك القواعد المعيارية التي تفرضها سلطة الكنيسة على المؤول للكتاب المقدس، مصرا على أن تتساوى كل النصوص في تطبيق المبادئ الهرمينوطيقية، لتكون بذلك هرمينوطيقا عامة عالمية أو كونية، فليس هناك أي تميز بين النص الدنيوي والنص المقدس.

وإن كانت هناك فروق دقيقة بين طبيعة هذه النصوص ومجالات عملها، مما يتوجب إنشاء أدوات إجرائية تتناسب وخصوصية هذه النصوص، فإن المؤكد هو وجود قاسم مشترك يوحدها ويجعلها لحمة واحدة، إنه جسد اللغة بوصفها

سمة جامعة بين كل المجالات، ومن ثم يصبح اللجوء إلى المعرفة النحوية أمرا طبيعيا لتتبع معاني الكلمات ورصد استخدامها داخل البناء اللغوي، أيا كانت طبيعة النص(بارة، 2008، صفحة 175).

وبذلك تصبح الهرمينوطيقا أشد ارتباطا بتعلم اللغات الأجنبية إذا" أننا لا نفهم معاني الكلمات الأجنبية إلا بواسطتها، بل إننا نمارسها حتى في علاقتنا المباشرة مع الأفراد، أي أثناء الكلام والحوار المباشر، فالهرمينوطيقا تحتل كل الفضاء الممتد بين المستمع والمتكلم، لأن هذا الفضاء لا يسيطر سوء الفهم الكلي الذي يجعل الحوار غير ممكن، ولا يسيطر عليه عليه الفهم الكلي الذي يجعله غير مجد، ومن هنا كان على الهرمينوطيقا أن لا تتوقف على النصوص المكتوبة فقط بل وأن تتجاوزها إلى تحليل الكلام أيضا"(شرفي، 2007، صفحة 25).

وتأسيسا على ما تم ذكره مسبقا إذا يمكن القول أن الهرمينوطيقا قد شهدت تحولا متميزا على يد شلايرماخر، فبعد نقلها من دائرة اللاهوت إلى مجال التفكير الفلسفي، وإعلانه عن قيامها كعلم أو فن قائم بذاته، كشف شلايرماخر أيضا عن ارتباطها الوثيق بتعلم اللغات الأجنبية، هذا فضلا عن تأكيده أن عمل الهرمينوطيقا لا يقتصر على النصوص المكتوبة فحسب بل يمتد ليشمل حتى غير المكتوبة (الشفوية) فهي تهتم بفهم الكلام أيضا، فنحن غالبا ما نقوم بعمليات تأويلية أثناء الحوار مع الأخر.

وفي كل حوار يجري فإن صياغة قول ما وإصداره في كلمات هي شيء وعملية تلقي هذا القول وفهمه هي شيء آخر مختلف كليا. والهرمينوطيقا في رأي شلايرماخر إنما تنصب على العملية الثانية وحدها أي عملية الفهم: إنها باختصار شديد فن الفهم(مصطفى، 2007، صفحة 99).

وعلى هذا الأساس يرى jean crondin أن التمييز الذي يمنح الأصالة الحقيقية لمشروع شلايرماخر التأويلي هو الأساس الذي ينطلق منه والمتمثل في

مبدأ (أولية سوء الفهم)، إذ يجب أن يكون التأويل على أهبة الإستعداد من سوء الفهم الذي ينتظره في جميع الأوقات، خصوصا إذا تقدم النص في الزمن وصار أكثر غموضا والتباسا بالنسبة إلينا(grondin, 1993, p. 91).

ومن هنا كانت الحاجة إلى تأسيس (علم) أو(فن) للتأويل يعصمنا من سوء الفهم وتجدر الإشارة أن شلايرماخر يعارض القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الهرمينوطيقا التقليدية، والتي مفادها أننا (نفهم كل شيء) إلى ان نصل إلى مقطع معين لا نفهمه أو يتعارض مع ما فهمناه، ويؤسس الهرمينوطيقا على قاعدة أخرى مناقضة للأولى (إننا لا نفهم أي شيء) ما دمنا لم نمسك بمعناه أو لم ندرك أهميته بعد(شرفي، 2007، صفحة 26).

وحسب هذه الفكرة الأخيرة يمكننا أن نستنتج أن عملية التأويل حسب شلايرماخر متغيرة باستمرار، فليس على القارئ أن يصل إلى رؤى وأفكار نهائية للنص الذي يتعارض مع فهمنا، حتى أنه يمكن أن تحثه الأفكار التي توصل إليها إلى استفهامات جديدة، ليغدو التأويل بذلك مهمة غير منتهية.

وعلى أساس ما تم ذكره مسبقا جعل شلايرماخر نقطة بدايته هذا السؤال العام: كيف يتم على وجه الدقة فهم أي عبارة أو أي قول، سواء أكان منطوقا أو مكتوبا؟(كمال المعاني، العواودة، 2018، صفحة 130)

أكد شلايرماخر أن الممارسة الهرمينوطيقية الناجحة ترتكز على جانبين التأويل اللغوي أو النحوي والتأويل التقني أوالسيكولوجي كما أسماه فيما بعد

1-التأويل اللغوي أو النحوي أو البلاغي: لقد ركز شلايرماخر على اللغة في التأويل على أساس أن كل النصوص مكتوبة بلغة ما ولهذه اللغة قواعد وتراكيب يستخدمها المؤول لمعرفة معنى الجملة، فقواعد اللغة تمنع المؤول من الوقوع في التأويل الخاطئ فمن لم يفهم الكلمات لا يستطيع أن يفهم الجمل(عزيز، د.س، صفحة 98).

وعلاوة على ذلك فإن الفهم اللغوي أو النحوي أو البلاغي يتمثل في إعادة بناء السياق التاريخي والخطاب الدلالي،ومقاصد الكلمات بالنسبة للمؤلف (أو المتحدث) وهذا التأويل يدخلنا لطابع العصر العقلي والأخلاقي والثقافي للفترة التي كتب فيها النص، ومراحل تطوره من تأويل حرفي إلى الإمكانيات المتعلقة بعلم دلالات الألفاظ وتطورها المستخدم من قبل المؤلف(west, 1979, p. 73).

فالمفردات اللغوية التي يستخدمها المؤلف عن طريق تاريخ عصره تعكس مجمل كتاباته التي يجب أن تفهم بوصفها جزءا، فدراسة التاريخ تتطلب دراسة الثقافة والمشاركة في حياة الناس حتى تنكشف الأحداث الماضية ذلك لأن شلايرماخر يرى حياة الإنسان متصلة باللغة، فاللغة توثق حياة الإنسان لأنها جزء من حياتهم المعاشة وبالتالي ضرورة تعلم اللغة الأم ومن ثم يمتد لتعلم لغات أخرى(قاسم، 2017، صفحة 74).

وعليه يمكن أن نستخلص أن التأويل اللغوي أو القواعدي أو النحوي أو البلاغي يتطلب معرفة وفحصا لبنية النص وسياقه ولغته وخصائصها.

2-التأويل التقني أو السيكولوجي: يمثل هذا التأويل الإسهام الحقيقي لهرمينوطيقا شلايرماخر، فهو يعيد بناء أسلوب المؤلف وذاتيته وتفرده، فهذا التأويل ينقب بعمق داخل خصوصيات المؤلف ووجهة نظره النصية بوصف هذا التأويل تعبيرا وتجليا يطوف داخل أعماق فكر المؤلف،ومن ثم يتعين امتلاك معرفة تامة أو كاملة عن كاتب النص(west, 1979, p. 79).

ولقد بنى شلايرماخر هذا الفهم النفسي على افتراض أولي وهو أن الطبيعة البشرية واحدة في كل زمان وعصر، فإن إنسان العصر الحديث يشابه في أعماق كيانه إنسان العصور الماضية مهما اختلفت البيئة والظروف، ولو لا هذا التشابه لما أمكن لإنسان هذا العصر أن يفهم ما كتبه أناس العصور القديمة، فالطبيعة

البشرية واحدة بكل ما فيها من قوى وإمكانيات، هي واحدة في كل العصور وهي في رأيه ما جعل التأويل المبني على الفهم ممكنا(عزيز، د.س، صفحة 99).

إن الهدف من كل ذلك هو أنه ينبغي على المؤول أن يفهم النص كما ينبغي أن يكون "بمعنى أن يضع نفسه مكان المؤلف حتى يستطيع بصورة ضمنية، وذلك فيما سبق أن قال المؤلف، ومن هنا يترتب على ذلك أن نصبح مزودين بتأويل أكثر دقة، وأن نمتلك فهمها جيدا للنص، وبالتالي نضيف قيمة أكثر لمعارفنا المسبقة"(قاسم، 2017، صفحة 81).

لم يكتف شلايرماخر بذلك بل ذهب إلى أبعد منه حيث طالب المؤول "بأن يفهم النص كما يفهمه مؤوله ثم بعد ذلك يفهمه بشكل أفضل من المؤلف ويبدو هذا محيرا للوهلة الأولى، ولكن لو توقفنا وفكرنا مليا في هذا القول لوجدنا أنه يحمل معنى ودلالة جيدين، فحين أقرأ مقالة كتبتها أنت، أقول لك: هل تدرك ماذا قلت هنا؟ ثم بعد أن تقرأ مقالتك من جديد، تعترف لي بأنني كنت على حق، وأنك لم تقدر أو تميز على نحو كاف ما كنت تقوله(جاسبير، 2007، صفحة 121).

ويمكن بالقياس على هذا المثال مع الاستفادة من وسائل البحث العلمي المعاصر، ومع الفاصل التاريخي بيننا وبين بولس، ومع القدرة على الوقوف وراء الوسط الثقافي والاجتماعي، يمكننا الادعاء بأننا نفهم رسائل بولس بطريقة أفضل مما فهمها هو نفسه، بعبارة أخرى إذا كنا هرمينوطيقيين حذرين علينا أن نعرف الأشياء التي لم يكن بولس على وعي أو علم بها لكونها قريبة جدا(جاسبير، 2007، صفحة 122).

ويشتمل التأويل التقني عند شلايرماخر على ضربين: أولهما المنهج المقارن وثانيهما المنهج التنبؤي أو التكهني "واتحاد كل منهما بالأخر مع التأويل اللغوي أو البلاغي، فالمنهج المقارن يستلزم من المؤول تصنيف المؤلف تحت نموذج عام

واكتشاف سمات تفرد المؤلف، وذلك عن طريق مقارنته بالأخرين في النموذج نفسه أو الإطار العام، هذه المقارنة تجعل النقطة الضرورية للاتصال بالنسبة لفعل الفهم تحدث بين المؤول والمفسر، وذلك إذا كان المؤول قادرا على أن يتعرف بداخله على سمات مشابهة لتلك السمات الموجودة عند المؤلف"(قاسم، 2017، صفحة 83).

أما التنبؤ فهو فهم حدسي مباشر إذ يتطلب اقترابا مباشرا من شخص المؤلف والنص، فهو يوجه المؤول إلى تحويل ذاته –إن جاز التعبير- داخل المؤلف أي فهم الأفكار الداخلية للمؤلف، ذلك لأن هدف التأويل دائما – عند شلايرماخر- هو امتلاك ذاتية المؤلف أو المتحدث، وذلك عن طريق الدخول إلى وعيه من قبل المؤول(قاسم، 2017، صفحة 83).

إن التنبؤ أو التكهن عند شلايرماخر هو فن وليس علم لأنه يحتاج إلى مهارات وقدرات خاصة من المؤول، وهذا الأمر غاية في الصعوبة لأنه يتطلب التركيز على فهم قصدية كاتب النص والدخول إلى ذهنه، وعد شلايرماخر هذا الأمر من الأمور التي يجب مراعاتها والتركيز عليها في عملية التأويل، وأراد أن يطبقها على الأناجيل(قاسم، 2017، صفحة 84).

وعليه نستخلص من كل ما تم ذكره مسبقا أن التأويل التقني يهتم بالجانب السيكولوجي للمؤلف وعلاقته بالنص الذي أبدعه من خلال إعادة معايشة العمليات الذهنية للمؤلف، أي الاندماج من خلال شخص أخر (المؤول) بغية تأويل خطابه والوصول إلى فهم أفضل من صاحبه، وهو بذلك يتجاوز الهرمينوطيقا التقليدية التي كانت تهتم بالكشف عن المعاني المبهمة في النصوص المقدسة وتفسير معنى النص دون الرجوع إلى الجانب السيكولوجي للمؤلف فالتأويل التقني يعتبر إسهاما وإضافة جديدة للعملية الهرمينوطيقية.

يمكننا أن نستخلص أيضا استنادا إلى ما تم ذكره مسبقا أن المفسر بنظر شلايرماخر يحتاج إلى موهبتين: الموهبة اللغوية والقدرة على النفاذ إلى الطبيعة البشرية.

يتحدث شلايرماخر في مشروعه التأويلي عن مبدأ أخر تقوم عليه عملية الفهم وهو مبدأ الدائرة أو الحلقة الهرمينوطيقية الذي تنهض عليه عملية إعادة التركيب بمستوييها اللغوي والسيكولوجي: "فنحن نفهم الشيء بمقارنته بشيء آخر لدينا به معرفة. وما نفهمه يشكل نفسه في وحدات منظمة أو دوائر مكونة من أجزاء. والدائرة بوصفها كلا تحدد كل جزء مفرد فيها، والعكس أيضا صحيح فالأجزاء المفردة تكون الدائرة الكلية وتحددها"(مصطفى، 2007، صفحة 67).

فالجملة على سبيل المثال هي وحدة كلية، ونحن نفهم معنى الكلمة المفردة داخل الجملة بإحالتها إلى الجملة الكلية، والجملة بدورها يعتمد معناها الكلي على معنى كلماتها المفردة، وتمتد هذه العلاقة التبادلية لتشمل المفاهيم الذهنية، فكل مفهوم مفرد يستمد معناه من السياق أو الأفق الذي ينسلك فيه، ومع ذلك فإن الأفق أو السياق إنما يتكون في حقيقة الأمر من العناصر نفسها التي يضفي عليها معناها. وخلال هذا التفاعل الجدلي بين الكل والجزء يمنح كل منهما الآخر معناه ومغزاه(مصطفى، 2007، صفحة 67). الفهم إذن عملية دائرية فالمعنى لا يحصل ولا يتحقق إلا في ظل هذه الدائرة التأويلية.

انطلاقا من كل ما تم ذكره مسبقا يظهر التوسع الشاسع الذي أحدثه شلايرماخر في مجال التأويلية، "لذا يعتبره الباحثين أبا للتأويلية الحديثة ويدين له بالفضل كل مفكري التأويل في القرن التاسع عشر بجميع فصائلهم وتخصصاتهم واتجاهاتهم الفكرية، وقد حملت بصمته جميع النظريات التأويلية في ذلك العصر، وعلى رأسها جميعا نظرية فيلهلم دلتاي"(مصطفى، 2007، صفحة 112).

4. خاتمة

عرفت الهرمينوطيقا نقلة نوعية على يد شلايرماخر، إذ خرجت معه الهرمينوطيقا التقليدية إلى مجال التفكير الفلسفي. وبعد أن كانت مقيدة بالنصوص الدينية فحسب أصبحت كل النصوص بما فيها النص المقدس تخضع لنفس القواعد والمعايير الهرمينوطيقية دون أي استثناء للنص المقدس طالما أن كل النصوصمتساوية في سمة واحدة مشتركة هي اللغة، لتصبح الهرمينوطيقا على يده علما أو فنا قائما بذاته يجنبنا سوء الفهم الذي تتعرض له النصوص ويضمن الفهم المناسب والملائم لها. فنحن لا نفهم أي شيء ما دمنا لم نمسك بمعنى وأهمية النص لتكون العملية التأويلية متغيرة باستمرار.

أكد شلايرماخر أن الفهم الصحيح لا يمكن أن يحصل من خلال إعادة بناء السياق اللغوي للنص وحده، بل لابد من إعادة بناء أسلوب المؤلف وذاتيته وتفرده وهو ما يسمى بالتأويل التقني حتى نصل لفهم النص كما فهمه صاحبه بل وحتى أفضل منه، والدائرة التأويلية هي التي تضمن تركيب هذين المستويين، فالفهم لا يتحقق إلا في ظل هذه الدائرة التأويلية.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

عزيز، القس فهيم. (د.س). *علم التفسير*. القاهرة: دار الثقافة المسيحية.

إيكو، أمبرتو. (2004). *التأويلات بين السيميائيات والتفكيكية*. دار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

لالاند، أندريه. (2008). *موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية*(ط1.). بيروت: عويدات للنشر والطباعة.

فرقاني، جازية وآخرون. (2013). *الترجمة بين التلقى والتأويل*(ط1.).الجزائر: الرشاد للطباعة والنشر.

جاسبير، دافيد. (2007). *مقدمة في الهرمينوطيقا*(ط1.). (تر: وجيه قانصو) بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

علوش، سعيد. (1985). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة* (ط1.). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

راد، صفدرإلهي. (2019). *الهرمينوطيقا منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاته في الحضارات الإنسانية المختلفة* (ط1.). (تر: حسنين الجمال) لبنان: دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.

مصطفى، عادل. (2007). *فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غدامير*(ط1.). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

بارة، عبد الغني. (2008). *الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مسروع عقل تأويلي* (ط1.). الجزائر: منشورات الإختلاف.

شرفي، عبد الكريم. (2007). *من فلسفات التاويل غلى نظريات القراءة* (ط1.). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

قاسم، على حسين. (2017). *المنهج النقدي التأويلي في فلسفةاللاهوت عند شلايرماخر*. مصر: جامعة بني سويف.

السيد على، غيضان وآخرون. (2020). *اللاهوت المعاصر دراسات نقدية* (ط1.). العراق: العتبة العباسية المقدسة.

شلاير ماخر، فريدريك. (2017). *عن الدين خطابات لمحتقريه من المثقفين*(ط1). (تر: أسامة الشحماني) بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.

المعاصر(ط1). بيروت: منشورات ضفاف.

عناني، محمد. (2003). *المصطلحات الأدبية الحديثة*(ط3). لونجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر.

وهبة، مراد. (2007). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: دار قباء الحديثة.

حسيبة، مصطفى. (2009). *المعجم الفلسفي*. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

المعاني والعواودة،رائد عبد الجليل ومصطفى كمال. (2018). *الهرمينوطيقا الغربية* (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

غدامير، هانس. (2006). *فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف*(ط2). (تر: محمد شوقي الزين) بيروت: الدار العربية للعلوم.

إيكو، أمبرتو. (2004). *التأويلات بين السميائيات والتفكيكية* (ط2). دار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

المقال:

راد، صفدرإلهي. (ربيع الأول 2016). مفهوم الهرمينوطيقا. *مجلة الإستغراب* (العدد19)، صفحة 14.

علي السيد، غيضان. (ربيع2020). الهرمينوطيقا والنص الديني الضرورة العصرية والبدعة الغربية. *مجلة الإستغراب*(العدد19)، صفحة 97.

جينروند، ويرنرج. (2014). تطور الهرمينوطيقا اللاهوتية من البدايات إلى عصر التنوير. *مجلة قضايا إسلامية معاصرة*(العدد 59-60)، صفحة 65.

أبو زيد، نصر حامد. (أفريل1981). *الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النص*. مجلة فصول (العدد03)، صفحة141.

المراجع بالغة الأجنبية:

Audi, Robert. (1995). *the cambridge dictionary if philosophy* (1 edition.). new york: combridge university press.

grondin, jean. (1993). *l'universalité de l'herméneutique*(1 edition.). paris: presses universitaires.

west, cornel. (1979). schleiermacher's hermeneutics and the myth of the given. *union seminary quarterly review*(No2).